

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[195] 2 - وورد في حديث آخر عن الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) قوله: "جُعِلَتْ
الْخَبَائِثُ كُلُّهَا فِي بَيْتٍ وَجُعِلَ مِفْتَاحُهُ الْكَذِبُ"(1). والعلة في ذلك
جليّة، وهي أن الإنسان الكاذب عندما يجد نفسه في معرض الفضيحة فأنّه يتحرك في عمليّة
التغطية على نقائصه ومعايبه من موقع الكذب والخداع، وبعبارة أخرى: إن الكذب يبيح له
إرتكاب أنواع الذنوب من دون أن يخاف الفضيحة، في حين أن الإنسان الصادق سيجد نفسه
مضطراً إلى ترك سائر الذنوب لأنّ الصدق لا يسوغ له إرتكاب الذنوب، والخوف من الفضيحة بسبب
الصدق يدعوه إلى ترك الذنوب. وكما سبق وأن ذكرنا الحديث المعروف عن الرجل الذي جاء إلى
النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) وهو ملوث بأنواع الذنوب وطلب منه النبي(صلى الله عليه
وآله) أن يترك الكذب فقط فقبل منه ذلك، وكان هذا سبباً في أن يترك جميع الذنوب(2). 3 -
ويستفاد من الأحاديث الأخرى أن الكذب لا ينسجم إطلاقاً مع الإيمان كما نقرأ في الحديث
الشريف: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله) يَكُونُ الْمُؤْمِنُ جُبَانًا؟
قَالَ: نَعَمْ؛ قِيلَ وَيَكُونُ بَخِيلًا؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ يَكُونُ كَذَابًا؟ قَالَ:
لَا"(3). ونفس هذا المضمون ورد بصورة أخرى عن أمير المؤمنين(عليه السلام) حيث يقول: "لا
يَجِدُ الْعَبْدُ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ هَزْلَهُ
وَجِدَّه"(4). ولكن لماذا لا ينسجم الكذب مع الإيمان؟ لأن الكذب إمّا أن يكون لغرض
تحصيل الإنسان لمنفعة معيّنة أو للخلاص من مشكلة وأزمة، فلو كان إيمان الإنسان قوياً
ومستحكماً في القلب فأنّه يرى أن الخير والشر كلاهما بيد الله تعالى وهو الذي بإمكانه
حلّ مشكلاته وإنقاذه من الازمات التي يمر بها في مواجهة تحدّيات الواقع والحياة وهو الذي
يدفع عن الإنسان أنواع البليات والمخاطر، فلو أن الإنسان تمسك بغصن من أغصان التوحيد 1.
بحار الانوار، ج 69، ص 263. 2. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج6، ص357. 3. جامع
السعادات، ج 2، ص 322. 4. اصول الكافي، ج 2، ص 34، ح 11.